

1363- العلاج الجمعي والفلسفة (2 من 3)

**(مدخل محدود من كتاب مقدمة في العلاج الجمعي 1978)**

**أنتهت نشرة أمس بسؤالين:**

- 1) أين العلاج النفسي الجارى أو غيره من كل هذا؟ . . .
- 2) ألا يشوه هذا التنظير الفلسفى مسيرة العلاج النفسى ويجرحه عن هدفه، أو يفرض عليه ما ليس له؟

وفيما يلى الرد الذى كتبه سنة 1976 دون تغيير تقريبا وهو مرتبط بالبحث الذى كان هذا الكتيب بمثابة مقدمة له، وكان البحث على مجموعة من المؤهلين (ولا أقول المثقفين)، وفى عبادة خاصة، وإن كان الرد الكامل على هذين السؤالين وغيرهما لم يصلنى كاملا تقريبا إلا من مجموعات قص-حر العينى خلال 37 سنة وسيأتى بعض ذلك فى الكتاب الخالى.

**لكن نبدأ بالرد القديم:**

- 1- إن هذه المشاكل الكيانية والصوروية موجوده عند الشخص العادى وهى ليست مشكلة خاصة بالمختصين فى الفلسفة أبدأ.
- 2- إن المرض النفسى - وهذا النوع بالذات الذى تمثله هذه المجموعة - فى تقديرى هو مواجهة عنيفة غير محسوبة (لدرجة الإخلال)، مع هذه المشاكل الحية التى يعيشها الأسمى أو المتعلم على حد سواء.
- 3- إن وعى المعالج بها ومعايشتها هو ممارسة الفلسفة، أى الحياة، ولكن الوقوف عند عقلنتها - هو الخطر الحقيقى على مسيرة العلاج . .
- 4- إن وعى المعالج بها، وتحديد موقفه منها، هو السبيل لإثارة وعى مقابل من جهة المرضى يساعد فى تحديد موقف مسئول تجاه ما فرصته التغيرات البيولوجية المتعلقة بالنمو واستثارة الوعى.
- 5- أن المتبوع لما جاء فى الجلسات يتمعن هادئ يجد أن مسيرة العلاج النابعة من المشاكل المطروحة وكذلك قواعد العلاج التى

استنتجها الباحث تتمثل اتصالاً مباشراً بمشاكل الفلسفة الحية، التي إذا كنا قد نحنا في الهرب منها فيما يسمى العلم، فإن هؤلاء المرضى جاؤوا يذكرنا بها من واقع مأساة وجودهم، وليس أماننا إلا أن نواجه مسئوليتنا تجاهها ... أو أن ندمغهم وننفهم هرباً مما يمكن أن يثروه مما هو داخلنا فعلاحتى لا يهددونا بالرؤية أو يدفعونا إلى المحاولة.

6- إن الأعراض التي جاءت بالمريض إلى العلاج كانت تزول أو تهدد بالزوال على الأقل بمجرد إرجاعها إلى أصلها وهي مشكلة الوجود أو فلسفته.

7- إن المشاكل التي أثرت طوال الجلسات المعروضة، والقواعد التي اتبعت لم تتعمد ترجيح فلسفة بذاتها أو تلزم المعالج أو أحد المترددين على رأى محدد بقدر ما أثارت أغلب وجهات النظر الفلسفية المعروفة في بساطة دون أن نرجعها إلى أصلها الفلسفي بلغة مغتربة بحال من الأحوال. وذلك خوفاً من العقلنة (أو بلغة هذه الفقرة: **إحلال التفلسف مكان الفلسفة**) وأورد هنا بعض الأمثلة التي تؤيد هذه الفقرة،

(1) يلاحظ المتتبع للمناقشات ما يشبه مبدأ "التهكم والتوليد" الذي اتبعه **سقراط** للوصول إلى الحقائق، وقد ظهر هذا جلياً في رفض الإجابة على الأسئلة أحياناً، وقلبيها جملاً إخبارية أحياناً أخرى، وأيضاً في طرح أسئلة مقابلة أحياناً أخرى.

(2) يبدو جلياً أن العلاج كان يهدف إلى تأكيد افتراض أن لكل مشكلة جانبيين يكادان يتساويان في القوة وأن على الفرد أن يفحصهما من خلال العلاج ليرجح أحدهما في مرحلة ما، وأن الدفاع عن كل منهما بنفس القوة كان يتم من خلال المناقشات، والانشطار، والسيكودراما، ويقترّب ذلك مما جاء في **محاورة بارمنيدس** حيث يقول **أفلاطون** "إن لكل مشكلة جانبيين ويمكن الدفاع عن أيهما بمثل القوة التي ندافع بها عن الآخر".

(3) يظهر مبدأ رفض الثرثرة والجدل العقلي (الدردشة) الذي تقرر في كل جلسة تقريباً ما يقابل النقد الموجه للسفسطائيين عندما ذهب فكرهم إلى درجة أن أصبحت غاية التفكير هي الانتصار على الآخر وليس الوصول للحقيقة . .

(4) نجد هنا أيضاً في الهجوم على الموقف الحكمي لأحد الأفراد ما يؤيد، ولو بدرجة طفيفة موقف الشاك بيرون حين يؤكد أنه: لا مجال للحكم على شيء، بل لعل وراء موقف بعض البيرونيين المتطرفين إلى وصل إلى رفض الكلام نهائياً مادام الحكم لا قيمة له . . لعل هذا الموقف الغريب فيه إجماع ضمني للتواصل دون كلام الأمر الذي أثير في المجموعة وناقشته الباحث بوضوح .

(5) كان في التأكيد على الحرية والاختيار والمسئولية ما يؤكد المبدأ الأساسي في **الفلسفة الوجودية** وهو أن الوجود يخلق نفسه باستمرار، وأن الإنسان هو حرّيته.

(6) إن محاولة الانتقال من الحب الفردى والعلاقة التكافلية المعطلة إلى حب الآخرين دون تمييز ما يشير إلى موقف **أفلاطون** من الحب، ذلك الموقف الذى أسى فهمه أشد الإساءة. بزعم أنه "عذرى" أو "مثالى" الخ

(7) نلاحظ أنه فى مبدأ "أنا - أنت"، سعى المجموعة فى إصرار إلى كسر التحوصل حول الذات لما يؤيد أن الوجود الفردى لا بد له أن يتناسق مع الوجود العام، الأمر الذى ناقشه **هيدجر** تحت مفهوم "التواصل" و"ياسبرز" تحت مفهوم "الأنت".

(8) إن فى التأكيد على ضرورة خوض تجربة حية كأساس **لشفاء أى للنمو والتغير** ما يقابل رأى **جابريل مارسيل** فى ضرورة العودة إلى تلك الخبرة الأولى..

(9) نشاهد كذلك فى الجلسات تكرار محاولة، البداية الجديدة من تجربة حية" بما يؤيد رأى الوجودى المقابل سواء كانت تجربة مغامرة إظهار الضعف والاعتماد (ما يقابل **مشاشة النفس** عند **ياسبرز** أو تجربة سقوط الدفاعات القديمة قبل ظهور البديل أى الاقتراب من المأزق (ما يقابل الغثيان عند **سارتر**)؟.

(10) نرى فى إعلان الحاجات اللذية للكيان الطفلى أو أحيانا الوالدى - بلغة **إريك بيرن** - أو هما معا إذا حدث تلوث ظاهر أو خفى.. ما يعلن اتجاه المدرسة **الأبيقورية** فى تقديس مبدأ اللذة؟.

(11) ثم يمكن أن نستشعر ظهور مبدأ البراهمانية فى كل آن، وذلك بالاصرار على إرجاع كل مسار العلاج إلى الواقع العملى، ومثال ذلك حين تُرفض البصيرة العقلانية، ويصر المعالج والمجموعة على الوصول إلى البصيرة الحقيقية التى تستقر فى القلب ويصدقها العمل...، وفى كل ذلك ما يؤكد مبدأ **البراهماتى** من أن الفكر غائى بطبيعته، وأن المعرفة لا ينبغى أن تكون إلا أداة فى خدمة العمل؟.

(12) أليس فى محاولة تصعيد الإدراك لدى أفراد المجموعة من استقبال الآخرين والأشياء باعتبارهم "موضوعات ذاتية" إلى استقبالهم باعتبارهم "كيانات موضوعية"، ما يلقي بنا دون هوادة فى خضم نظرية المعرفة بأمواجها المتلاطمة بين المثالية والواقعية وقد استعمل الباحث هذه التغيرات ببساطة لأنه استقاها من مصدر من مصادر التحليل النفسى، ولكن وراءها ما وراءها من إثارة مشاكل معرفية جسيمة، إلا أن استقبال المرضى لهذا التحول كان سلساً دون تنظير، مما يدل على أن "التجريب الفلسفى" ممكن بالصورة التى صورتها فى أول هذه الفقرة، بل هو قد أكد لى فعلا أن تطور الإدراك من الذاتية إلى الموضوعية لا يتم فقط بالطريقة التى اقترحها "كانت" فى **مثاليته** النقدية (التي لم أقمها إلا من خلال نظرية تنظيم (فعلنة) المعلومات) ولكنها أقرب ما تكون - أيضاً - إلى **تصاعد مراتب الوعي عند هيغل** فى ممارسة تجريبية عملية..، وقد كان هذا يتم تحت ناظرى فى انبهار مذهل (الإنسان فى أصول وجوده وحركة صيرورته!!).

(13) وأخيراً: إن في ما يجري في هذه المجموعة ما يؤكد، بل ويحقق فكرة الديالكتيك كأساس لمسيرة التطور كما نادى هيرقليطس إلى هيجل فماركس؟ وقد ذكر الباحث إشارات متتالية إلى ما أسماه مرحلة الولايف Synthesis.

وبعد

نقف هنا لنتساءل (مايو 2011):

وهل كل هذه النظريات وغيرها تساهم بنفس القدرة في الربط بين هذا العلاج وبين الفلسفة، ولكن دعونا.

سوف نخصص نشرة الثلاثاء القادم لشرح بعض ابعاد حركية النمو من خلال خبرة هذا العلاج خاصة على خلفية تنظير المؤلف كما وردت في ذلك الكتاب 1976، وعلاقتها "بالجدل" وهو يقع في بؤرة فلسفة هيجل ونظيرتنا في النمو والتطور والعلاج، وبخاصة العلاج الجمعي.

\*\*\*\*

- تغيرت الصيغة فقط من الاستفهام إلى التقرير.

- الكلمات والجمل التي أصبحت بالبنط الأسود هي تشكيل لاحق في لون البنط فقط.

- No Gossip Principle
- La Fragilite de L'être
- La nausea

Your browser does not support inline frames or is currently configured not to display inline frames.